

محمود سليمان الظاطا

ومن بعدي الطوفان

شعر

مقدمة

"ومن بعدي الطوفان" عنوان ينبع من بحث "التحدي وصدى التجارب" ، يعكس رحلة استثنائية في عوالم الذاكرة والواقع، حيث يتلاقى الوجودان مع الفكر، والذات مع الكون.

أنا، محمود سليمان الظاظا، من مواليد 18 نيسان 1978 في المزرعة - بيروت، أتىت إلى هذه الحياة أحمل في قلبي مزيجاً من الحنين إلى الماضي، والشغف بالبحث عن الحقيقة في تفاصيل الحاضر، والرغبة في رسم مستقبل تنسع فيه مساحة الحرية والصدق.

هذا الكتاب ليس مجرد كلمات على ورق،
بل هو صرخة وأمل، رحلة في دهاليز
النفس، بين ضوء وظل، بين الطوفان وما
بعده. أحتفي في صفحاته بالذكريات،
بالألم، بالحب، وبالأسئلة التي لا تجد لها
أجوبة نهائية، لأن في البحث عن الإجابة
يكمِن جوهر الحياة.

أدعو القارئ لأن يغوص معي في هذه
الرحلة، لأن يجد بين السطور جزءاً من
نفسه، لأن يشاركني في تأملات تسعى
إلى كشف المعنى في زمن يموج
بالتغيرات والانكسارات.

ومن بعدي الطوفان... هناك دوماً أفق
جديد.

1_

أخذتنا الدنيا بعيداً

أخذتنا الدنيا بعيداً،

صدقيني، عزيزتي... بعيداً

بينما كنت تشيرين إلى الأفق

البعيد...

البعيد...

أخذتنا الدنيا بعيداً،

وأنت تلوحين بمنديلك

الحريري

المنقط

المزركش،
والمطّرّز بألوان الربيع
الزاهية...
...

أخذتنا...

حتى لم نعد نعرف
على أيّ صفةٍ نحن؟
وعند أيّ مفترقٍ من الطرق؟
فقدنا الجهاتِ الأربع
...وغاب عنّا الطريق

2_

أرخيلاً يونانيًّا

،تشيرين دوماً إلى البعيد
،بيدٍ تتبهُ في فضاء الأمنيات
كأنك عبرت أرخبيلًا
،يونانيًّا
،ناعسًا في حلمكِ
،وجزًًا
سكنتها الريح
حتى آخر رواقٍ
في القاراتِ الخمس
التي لم تُكتشف بعد.

3_-

ربما

ربما

أنت هنا،

وهناك،

وعلى بُعدِ خطى

، من حتفِك المحتوم

ٌدرج زورقاً

، في المغيب

بِالتفاتةٍ واحدةٍ.

4_

دع الموتى يدفنون موتاهم

، يا أيها الرقادون تحت التراب

، أفيقوا من صمتِ العدم

، من ظلمة النسيان
، من حكاياتٍ لم تُكمل
... وأحلامٍ لم تُقل

! دعوا الموتى يدفنون موتاهم
دعوا الحي يبحث عن ضوءٍ
في العتمة
عن أغنيةٍ
وسط ضجيج الخراب.

، قالها أحد الناجين
، وجهه مبللٌ بالمطر
صوته متعبٌ
، كأنه خرج لتُوه من طوفانِ الحكاية

من فم التاريخ...

كان من أولئك المؤمنين،
الذين شددوا حبال النجاة
لسفينة نوح،
عند أول صفعٍ للبحر
عند آخر شهقة للتراب.

قال:

"ثبتنا السفينة على صخرة المعنى"
وتركنا الريح تعوي،
لكننا لم ننكسر."

لا تزال أصواته صوته

، تردد في رأسي
، مثل رجع في كهفٍ بعيد
مثل ارتعاشةٍ وتبرٍ
إذا مسّته روح...

، تعود من حينٍ إلى حينٍ
، في لحظةٍ سكونٍ مفاجئةٍ
، في لحظةٍ شكٍّ
أو حينٍ يُخَيَّلُ إلى
أن الطوفان
لم ينتهِ بعد...

6_

"صوتٌ من بعد الطوفان"

يَا أَيُّهَا الرَّاقِدُونَ تَحْتَ التَّرَابِ

أَفِيقُوا... أَفِيقُوا

فَالصَّمْتُ ثَقِيلٌ، وَالرِّيحُ عَتَابٌ

دَعُوا الْمَوْتَى... يَدْفَنُونَ مَوْتَاهُمْ

خَرَجَ مِنْ بَيْنِ الْمَاءِ

وَجْهُهُ مَبْلَلٌ بِالْحَكَايَا

عَيْنَاهُ مَنْفَى، وَصَوْتُهُ نَايٌ

يَنْوَحُ عَلَى أَطْلَالِ النَّجَاةِ

قَالَ:

ثَبَّتْنَا السَّفِينَةَ فَوْقَ الصُّخُورِ

وَرَبَطْنَا الرَّجَاءَ بِشَبَاكِ النُّورِ

وما انكسرنا، وإن بانَ الكسر
فإِنَّا... من الناجينْ!

يا أيها الراقدون تحتَ الترابْ
...أفيقوا... أفيقوا
فالحياةُ على الشَّطْ رجُعُ جوابْ
دعوا الموتى... يدفنونَ موتاهم!

كلما سكنتُ لحظةَ سكونْ
تعودُ أصداهُ ذاكَ الجنونْ
أسمعُ الصوتَ: "لا تنْ... لا تخْفْ
"... فالطوفانُ... لم ينتهِ بعدْ

رجُعُ في الرأْسِ لا يهدأ

كأنّ الذكرةَ موجُّ
وكلّ ذكري...
مسماً في الصمت

يا أيها الراقدون تحت التراب
اتركوا الحياةَ تُكملُ جوابُ
فالموتى... لا يُحسنونَ الخطابُ
...دعوا الموتى... يدفنونَ موتاهم

7_

ليلٌ ليلى

ليلٌ ليلى...
ليلٌ نجومٌ وقمر

لِيلُ قصائِدَ وَسَمَرَ

لِيلُ أَلْحَانٍ وَأَنْغَامٍ

لِيلُ همَّٰسٍ... لَا يُؤْتَمِرُ

لِيلُ لِيلٍ.

لِيلُ لِيلٍ...

لِيلُ طَعَامٍ وَشَرَابٍ

لِيلُ ثَمَارٍ وَحَلْوَى

لِيلُ عُشْقٍ وَآهَاتٍ

لِيلُ رُوحٍ لَا تَرُوِي

لِيلُ لِيلٍ.

لِيلُ لِيلٍ...

لِيلُ أَحْلَامٍ تَتَحَقَّقُ

،لِيلُ أَنْوَارٍ تَنَلَّأُ

،لِيلُ مَرَاكِبَ فِي عَرْضِ الْبَحَارِ

،تَسْرِي

،وَلَا تَتَهَجَّى الْمَسَاءُ

...لِيلُ لِيلِي

8_

"لِيلُ لِيلِي... وَفَجْرُهَا"

،لِيلُ لِيلِي... يَا لِيلَ الْهَوَى

،لِيلُ نَجُومٍ وَقَمَرٌ

،لِيلُ قَصَائِدَ وَسَمَرٌ

،لِيلُ أَلْحَانٍ تُغْنِي

...في العيونِ وفي الورز
ليلٌ ليلى، يا سُكَّر السهرْ

ليلٌ ليلى...

ليلٌ طعامٌ وشرابْ،

ليلٌ ثمارٍ وحلوى،

ليلٌ حضنٍ وانسيابْ،

ليلٌ عشقٍ في ارتاحانْ

وحنينٍ لا يُجَابْ...

آهٌ ليلى، ما أرحبَ الغيابْ

ليلٌ ليلى... يا نَشوة الحرفْ

ليلٌ همِّس يُطِّربُ الليلَ ويعزفْ

لِيلٌ لِيلٌ...

لِيلٌ أَحَلَامٌ تُحَقَّقُ،

لِيلٌ أَنْوَارٍ تَلَاءِلٌ،

لِيلٌ مَرَاكِبٌ فِي عَرْضِ الْبَحَارِ،

تَسْرِي وَلَا تَتَهَجَّجُ الْقَرَازُ،

لِيلٌ قَلْبٌ... لَا يَغَارُ

وَلَا يَنَامُ... إِنْ مَرْ طَيْفَكِ وَاحْتَازُ

فَجْرٌ لِيلٌ...

حِينَ يَذُوبُ الْجَلِيدُ عَنِ الْقَلْبِ،

حِينَ تُشْرُقُ مِنْ عَيْنِيْكِ نَجْمَةٌ،

وَيَغْسِلُ الضُّوْءَ وَجْهَ الْحَكَايَةِ،

فَجْرُكِ يَا لِيلٌ...

صَلَادَةُ عَاشِقٍ

أَنْهَكَهُ طُولُ الْمَسَاءِ،

فِيَكِ...

ثُمَّ ابْتَسَمْ

حِينَ قَالَ

لِيلَى... جَاءَتْ!

9_

"أَحْبَبِكِ... يَا صَقِيقًا وَنَدِيٍّ"

أَحْبَبِكِ، يَا قَمَرًا مَعْلَقًا فِي الْمَسَاءِ،

أَحْبَبِكِ، يَا عَطَرًا يَسِيرُ بِلَا اِنْتِهَاءٍ...

أَنْتِ اللَّقَاءُ، وَأَنْتِ التَّذْكَارُ

أَنْتِ النَّهَرُ، وَأَنْتِ الْأَسْرَارُ

أَحْبَّكِ...

لَا نَكِ الْفُضُوءُ فِي لِيلِي الطَّوِيلِ،

لَا نَكِ الْحَلْمُ حِينَ يَغْفُو الْمُسْتَحِيلُ

أَحْبَّكِ حِينَ تَصْمُتِينْ

كَأَنْكِ تَرْتَبِينَ الشَّجَنَ فِي دَفْتَرِي

أَحْبَّكِ، يَا قَمَرًا مَعْلَقًا فِي الْمَسَاءِ

أَحْبَّكِ، يَا عَطَرًا يَسِيرُ بِلَا اِنْتِهَاءِ...

يَا مَتَصَلِّبَةً كَجَبَالِ الْجَلِيدِ

يَا أَنْثِي مِنْ بَرِّي... وَمِنْ نَارِ

أحّبّكِ رغم صدّكِ
رغم صمتِكِ المكسورِ بالأسرار

أحّبّكِ،
وإنْ جمدَ الكلامُ على فمي
أحّبّكِ...

كأنّي أكتبُكِ من رعشةِ أصابعي

أحّبّكِ، يا ظلّا على شفتي
أحّبّكِ، ما بينَ صقيعٍ... وندي
أنتِ البدايةُ

وأنتِ، وحدكِ... المدى

لأجلك

لأجلكِ، يا صاحبة الاسم المنير،
والوجه الناعم الجميل،
والشعر الأسود الطويل،

عيناكِ تسهران ليلاً،
ورمشاكِ كرمثا غزالٍ تحاكي جماله،

نظرتُ في وجهكِ،
فقرأتُ فيه الجمالَ
والأنوثةَ،
والدلالَ،

لأجلِكِ،
كم نظمتُ الألحانِ
يا صاحبة الأطرافِ الحسانِ

11_

"لأجلِكِ، يا منيَّرَ القلبِ"

لأجلِكِ، يا صاحبةَ الاسمِ المنيَّرِ
، والوجهِ الناعِمِ الجميلِ
، والشعرِ الأسودِ الطويلِ
، يا نجمتي في ليلِ الدجى
...يا روحًا تسكنُ القلبَ الكبيرَ

عيناكِ تسهران ليلى،
ورمشاكِ كرمشا غزالٍ
، تراقصُ في عيونِ الليل
، تحاكي جمالَ الخيالِ

نظرتُ في وجهكِ
، فقرأتُ فيه أسرارًا
، جمالًا وأنوثةً
، ودللاً نسجتهُ الأيامُ...

لأجلكِ، يا صاحبةَ الاسمِ المنيرِ
، والوجهِ الناعمِ الجميلِ
، والشعرِ الأسودِ الطويلِ...

لأجلِكِ، كم نظمتُ الألحان
وكم غنّيتُ للهوى،
يا صاحبة الأطراف الحسان
يا أنتِ الهوى والآهات

أنتِ قصيدي التي لا تنتهي
وأغنيتي التي تسرُّ في السماء...

لأجلِكِ، يا منيرَ القلب
يا ضوءاً في عمقِ الظلام
يا حلمًا لا يرحلُ
يا نبضاً...
يا سلام

طاولة خشبية مستديرة_12

وَجَدَ نَفْسَهُ

، عَلَى طَاوِلَةِ خَشْبِيَّةِ مَسْتَدِيرَةٍ

يُشْعِلُ سِيْجَارَةَ الْغَيَابِ ...

يَكْتُبُ مَسْوَدَةً

، عَنِ الْحَرُوبِ الْقَادِمَةِ

، وَمِسْتَقْبِلِ الْمَنْطَقَةِ الْعَرَبِيَّةِ

، عَنِ الْأَنْظَمَةِ

وَالْحُكَّامِ،

وَالْدُّولِ الْغَارِقَةِ فِي رُكَامِهَا.

وَجَدَ نَفْسَهُ قَائِدَ أَوْرَكِسْتَرَا

لِجَيْشِ مِنِ الْمَتْسَكِّعِينَ.

وشاهد

جيش الاحتلال الإسرائيلي
يتناوب

على اغتصاب الأسرى الفلسطينيين

، الشجعان

بعد أسرهم

، في ميادين البطولة

، والكرامة

، والشameة

، والعزة

، والشرف.

رأى كلّ شيء

؛ بنهار أمامة

كرامة الإنسان،

الإنسانية،

الاحترام المتبادل - حتى مع العدو

شرعية حقوق الإنسان،

الأمم المتحدة،

المبادئ...

تهاوى.

رأى القيم النبيلة

نهاراً أمام عينيه

". ك "طايرة ورقية شراعية

– وعند هذا الحد

البائس،

المضطرب،

المنحل.

– الأخلاقِي بتأثِّرًا

أغلقَ القرطاسِ.

ولم يُنِهِ كتابةً القصيدة...

ومن بعدي الطوفان.

13

عندما يكتب الشيطانُ الشعر

، قال أحدُ المردِّة الكبارِ

من حاشيةِ وأعوانِ

"إبليس اللعين"

لَمْ تَعُدِ السَّمَاءُ تَتْسَعُ -
لِأَحَادِيثِ الْمَلَائِكَةِ!

وَلَمْ يَعُدِ الْكَوْنُ الشَّاسِعُ -
يَحْتَمِلُ الْجَنَّ وَالْإِنْسَ مَعًا!

وَلَمْ يَعُدْ قَلْبِي الْمُسَوَّدَ -
يَقْوِي عَلَى رُؤْيَاةِ الْمَسَاجِدِ
عَامِرَةً بِالْعُلَمَاءِ النُّجَابِاءِ.
بِطْلِيَةِ الْعِلْمِ
وَصَفَوْفِ الْمُصْلِيْنَ.

وَالْخَمَّارَاتِ -
الْكَابَارِيَّهَاتِ

متاجرُ الخمر،

البارات، الكازينوهات،

وشواطئُ العُرَيْقِ

خاوية،

إِلا مِنْ قَلَّلَ مِنْ الرُّوَادِ وَالنُّزَلَاءِ

لَمْ يَعُدْ قَلْبِي الْحَاقدُ

يَحْتَمِلُ صَوْتَ الْخُطُبَاءِ الصَّالِحِينَ

بِلْ يَحْنُّ إِلَى أَهْلِ الْفَتْنَةِ

أَبْنَاءِ الْزِيَغِ، الْكَذَبِ

الْغُشِّ، الدُّجَلِ، الْخِيَانَةِ

– وَالْجَهَلِ

الَّذِينَ يُضِلُّونَ النَّاسَ فِي كُلِّ حِينٍ!

لِيَتَ

جَمِيعَ الْمَسَاجِدِ تُهَدَّمْ
وَكُلَّ الْمَصَاحِفِ تُحَرَّقْ
وَيَبَادَ الْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ!

: وَتَبْقَى

أَدِيرَةُ الشَّرِكِ

قَبْلُ الْكُفْرِ

مُنْتَصِبَةً

شَامِخَةً

وَالْأَوْثَانُ

وَالْأَصْنَامُ

وَأَدْعِيَةُ الشَّرِكِ وَالْكُفْرِ

مَرْفُوعَةً عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ.

ليته يكون...

ليخلدوا معنا في النيران!

آه... لو يكون!

ومن بعدي الطوفان.

14

أفيخاي أدرعي

ومن بعدي الطوفان...

أفيخاي أدرعي!

وما أدراك ما أفيخاي أدرعي؟

الناطق باسم جيش العدوان الصهيوني

في منطقتنا العربية،
وفي محيطنا المقهور!

جيش بلا مبدأ،
بلا احترام،
بلا أخلاق،
بلا رادع ديني أو إنساني...
جيش همجيّ،
بكلّ ما تعني الكلمة!

يقتلُ الأطفال،
يتناوبُ على اغتصابِ الشبابِ
الفلسطينيين
بعد أسرِهم

فِي مِيادِينِ الْبَطْوَلَةِ وَالشَّرْفِ.

يَقْتُلُ النِّسَاءَ،

الشِّيُوخَ،

الْأَرَامِلَ،

يَسْلُبُ مُمْتَلَكَاتِ الْغَيْرِ

بِقُوَّةِ سِلاحٍ أَمْرِيَّكِيٌّ مُتَطَوِّرٌ لِلْغَايَةِ.

يُدْمِرُ الْمُسَاكِنَ فَوْقَ رُؤُوسِ سَاكِنِيهَا

وَيَخْرُجُ عَلَيْنَا بِوْقَاحَةٍ إِعْلَامِيَّةٍ

يُسَوِّقُ الْكَذْبَةَ لِلْعَالَمِ!

أَيُّ عَاقِلٍ يَصْفُهُمْ بِالْحَضَارَةِ؟

أَيُّ حَاكِمٍ، عَرَبِيًّا كَانَ أَوْ غَرَبِيًّا مَا

يجرؤُ أن يقول: إنهم مضطهدون؟
أيُّ حمارٍ على وجهِ الأرضِ
من نسلِ الحميرِ
يمنحُهم لقبَ "الضحية"؟

حتى البهائمُ الشاردةُ
في الغاباتِ الإفريقيَّةِ المهجورةِ
ترفضُ تشبيههم بها!

أفيخاي أدرعي...
خذها مني كما هي

من دون زيادة ولا نقصان

أنتَ رجلٌ غلبتُ عليكَ شقاوْتُكَ
لن تُؤْمن،
ولن تُبصِرَ
حتى يُرِيكَ اللَّهُ العذابَ الأَلِيمَ

لَكَ قلبٌ لا يَعْقُلُ
وعيْنٌ لا تُبصِرَ
وأَذْنٌ لا تَسْمَعُ النصْحَ
وَلَا كَلْمَةً حَقًّا.

تَخْلَى اللَّهُ عنكَ
كَمَا تَخْلَى عنْ فَرْعَوْنَ

عن قارون، عن هامان
وترکك لنفسك الأّمّاره بالسوء...
كفيلاهُ أن تُهلكك
تسحقك،
وتنسيك طعم حليبِ أمك
يوم كنت في المهد صغيراً

أفيخاي أدرعي...
خذها مثني كما هي
ومن بعدي الطوفان.

سأتبينك

سأتبينك...

مع إشراقة كلّ صباح،
في ابتسامة طفل،
وفي أمل المسافرين
داخل بحات المطارات،
عند باعِ الورد
على رصيف الانتظار،
تحت مطرِ المهرجانات،
خلف وجيِ الليل،
وأنين المسافات...

سأتبّينك

في كلّ قصيدةٍ غزلٍ

دُوّنْتُها على صفحاتِ الأيام العابرة،

وعلى جبينِ الزمانِ المستمرِ

حيث الأغاني ما زالت

سكري،

تدخنُ سجارةً الغياب.

سأتبّينك

عند كلّ محطةٍ

من محطّاتِ حياتي المتواصلة،

سأتبّينك...

ولو كنتَ خلف

سابع جبل

وهضبة،

وتلة،

ووادي...

سأتبينك.

أدق التفاصيل_16

العاشرة...

تبوح بثقل لي لها

الموحش!

والذاكرة...

، تُبحر في سفن الأفكار

... وفي القصيدة

، تتشكل تفاصيل النص

، والكلمة

... والجملة

رحلة دقيقة

، في بحر الشعر

، العلم

، الخيال

، المعرفة

، الثقافة

" والأدب "الظاطي

، الراقي

والفرد...

رحلةٌ

لا تنقصها

أدق التفاصيل.

17 _

ماريشالاً

في لبنان...

لن تحصل على شيء

ولن تفعل شيئاً

ولن تُحقق، عزيزي

أيّ شيء!

وإن حملت يوماً
الشعلة المنيرة،
واخترقـت
فسحة الضوء،
ومساحة النور،
وحققت مـناك...

فـأـفـصـحـ لـنـاـ عـنـهـ،
لـنـقـيمـ لـكـ حـفـلـاـ كـبـيرـاـ،
وـنـصـفـقـ لـكـ،
وـنـدـعـوكـ: "ـمـارـيـشـالـاـ"ـ،
وـنـهـدـيـكـ "ـنـيـشـانـاـ مـذـهـبـاـ"ـ،
وـمـيدـالـيـةـ فـضـيـةـ...

بُرْتبة فارِسٍ أَكْبَر

18

صدقيني، عزيزتي

صدقيني، عزيزتي،

لم نعد كما كُنا

وأنتِ تشعلين

سيجارة الغياب،

وتصطادين الغيم

ونوارس الجنون

على رصيف المرفأ الكبير

،من بين زعيق السفن
،تنسّب أسرار البحر الخفيّة
شِبَّاكْ...
وأحلامُ صيّادين

لحظاتُ
،وتختفي الأفكار
وكأنّ شيئاً
لم يكن

19

فيض لا ينتهي

،"ما بين شارع "البربير

، بربور

، النويري

، البسطة الفوقة

، البسطة التحتا

، رأس النبع

... والخندق الغميق

، فيض لا ينتهي من الذكريات

... بحلاؤتها

... ومرايتها

ما بين شارع البريد
وببرورِ الزّمن الضّرير
النوييري، البسطة الفوقة
والتحتا... حكايا مكسورة
رأس النبع، بوحٌ غزير
والخندق الغميق... سرّ عتيق
فيض لا ينتهي
من الذكرياتِ
بحلاوتها
وممارتها

الله يراني

الله يراني...

يراك...

ويرانا.

مُطْلِعٌ علىٌّ

عليك،

وعلينا...

لا تخفي عليه

الخفايا.

حروف من ذهب

كان حُبّنا

يكتب تاريخه

...بحروفٍ من ذهب

كانت بعلبك

،مدينة الشمس،

والحرف،

والنار،

...والنور

كان الجنّ

يسرح ويمرح

في باحاتها،
فوق صخورها،
تحت شمسها،
في هواها،
وخلف أعمدتها القديمة...

يُقيِّمون طقوسهم
المقدّسة لديهم:
أُفراحهم،
وأُتراحهم...

على ضرب الدفوف،
وقرع الطبول،
وصيحات النساء،

وصهيلِ الخيولِ
ونباحِ الكلابِ...

23

صحراء الربع الخالي

العنقاء...

صحراء الربع الخالي
والجندي الذي رأى الطائر
في نومه.

خيام العشيرة...

جمال الصحراء...

وأحلام الرعاة...

وكأنك تجتاز

أرخبيلًا يونانيًا

ناعسًا في نومك

من بين زعيق السفن

ونوارس الجنون

وأحلام الصيادين المحملة

بأسرار البحر الخفية.

24

صحراء الربع الخالي

العنقاء...

، تُحلقُ فوق رمال الربع الخالي
، تحكي أسراراً نُسيت بين الكثبان
وترسم أجنحتها كالشمس الغاربة
. تذوب في بحر العواصف الرملية

الجندى الذى رأى الطائر
، في نومه

، يحمل على كتفه وزن اللغات القديمة
، وعيون النجوم الساهرة
، وشذى الصحراء الحارق
. حين يلتقي الوميض بالصمت

... خيام العشيرة

،تنفس عبق القهوة المرة
،وأصوات الحكايات التي لا تنتهي
،بين همسات الرمال
،وأهداب السحاب الهايم

جمال الصحراء ...
،كقصيدةٍ مُوشحةٍ بالعزف
،ترنُم على أنغام الرياح
،تسري كدمعة تسقط على وجه الأرض

وأحلام الرعاة ...
،تنسج من الظلال عباءات العشق
،تحرسها نجوم السماء
،وتنثرها نسمات المساء

وكانك تجتاز
أرخبيلًا يونانيًا
ناعسًا في نومك
، من بين زعيق السفن
، ونوارس الجنون
وأحلام الصيادين المحملة
، بأسرار البحر الخفية
، حيث يتتشابك الماء بالهواء
. ويعانق الضوء ظلال الليل

من خلفِ أعمدةِ النورِ
والدخان،
تلوحُ أشعةُ الضوءِ
... وتعصفُ سرعةُ الرياحِ

هناك،
وَجَدَ عَصَارَةً أَفْكَارَهِ
وَنَتَاجَ فَكِيرَهِ
يَتَلَاشِيَانِ
مِنْ بَيْنِ يَدِيهِ،
كَمَا لَوْ كَانَا
تَسَابِيَخَ مُنْسِيَةً،
حَمْلَتْهَا الْرِّيَاحُ

إِلَى الْمَدَنِ،
إِلَى الْجُزُرِ،
إِلَى الْقَارَاتِ
...الَّتِي لَمْ تُكْتَشَفْ بَعْدَ
مِنْ هَذَا الْعَالَمِ.

26

وَمِنْ بَعْدِ الطَّوْفَانِ

أَرَادَ أَنْ يَؤْلِفَ
"كِتَابًا فِي الشِّعْرِ"،
يَعِيدُ بِهِ تَرْتِيبَ الْأَبْجَدِيَّةِ
وَيَقِيمُ مَقَامَ الْقَافِيَّةِ مُمْلَكَةً
وَيَكْسُرُ بَحْرَ الْخَلِيلِ

كما تكسُرُ الريحُ المرايا القديمة.

قال:

سأكتب للدهرِ ما لم يُقلْ"

"وسيحنني لي الزمانُ إذا اكتمل

فأعدُّ العناوينَ من نار

، وخطَّ العناوينَ من وهم

، وسمَّى كتابَه

"ومن بعدي الطوفان"

، وما إن خطَّ المقدمةَ الأولى

، حتى هبَّت عليه الريحُ من الورق

... وغرقَ المدارُ

، وتبعثرتِ الفكرةُ

وانزلَ العقلُ في هاوية التفسير.

غرقْتُ أفكاره

في قعرِ بحرٍ

يُمتدُّ حتى الجبال

كأنَّ الطوفانَ الذي استدعاهُ

عادَ ليبلغهُ أولاً!

ثم...

أغلقَ الكتابَ

وأخفاهُ تحت الوسادة

فمن ذا الذي يقرأ

وصايا النرجس الغريق؟

رصاصة واحدة

(نص شعري موسّع)

وجد نفسه جندياً
في حروبٍ
لا يعرف حتى اسمها...
كان يحمل بندقيةً
لا تشبه صوته،
ويرتدي خوذةً
من خوفٍ قديم.

رأى الضبعة
تبث عن وجبيه

لصغارِ جائعين...

ورأى الغربانَ

تحرسُ الغنائمَ

رؤوساً،

وأشلاءً،

وحيثَا بلا أسماء.

وقفَ أمام بحيرة الدماء،

ينتشرُ طائراً جريحاً

رآهُ ذات ليلٍ

في حلمٍ هشٍّ

ثم التفتَ...

فرأى قوافلَ العدوَّ

تتقدّمُ ببطءٍ

كأنّها لا تخاف شيئاً.

أراد الفرار ...

أن ينقد ما تبقى من حياته

أو من صوته

أو من إنسانيته ...

لكن،

برصاصةٍ واحدة

– لا يدري من أطلقها –

سقط ...

وسقطت معه الغابة،

وسقط الفضاء.

البحر الأبيض المتوسط

كان البحر الأبيض المتوسط
يُسَرِّحُ زَبَدَهُ بحريةٍ تامةً
بلا ضوابط... ولا قيود

وسط شباك الصيادينَ
المحمَلة بأسرار البحار

سيرةُ البحرِ
العاشقَةُ
... تُنثِيدُ لحنَها المعتاد

ونوارسُ الْحُبْ

تتجولُ بحريةٍ

على رَمْلِ الشاطئِ

قرصُ الشميسِ

يوشكُ على المغيبِ

في هذا اليوم الحارّ

من شهرِ آبِ

29

أذن الغيابِ

وكأنَ الزمانَ

يهمس في أذن الغياب،
يروي قصة وداع
لا تعرفها الأيام،
ولا تبوح بها النجوم
المنطفئة على ضفاف الصمت.

والريح تنفح في شراعي
بأشواقٍ تائهة،
تسير بلا وجهة،
بین أصداء الذكري،
وصدى خطوات الغائبين.

فيما ليلة الرحيل،
احتضني أحلامنا الضائعة،

وامسحي عن جبين السماء
دموع الرحيل الأخيرة.

30_

. أعمق الظلم

وفي أعمق الظلم
،تنمو أزهار الانتظار
،تفتح بتلاتها للحزن
،تستنشق عبر الغياب
وتحلم بلقاءٍ بعيدٍ
،بین أطياف الذكريات.

تترافق ص الأشباح
على نغمات الريح الباردة
، تهمس بأسماء من رحلوا
، تركوا في القلب ندوياً
، وأغاني لا تنتهي
تعزفها أنيين الوحدة

، يا ليل، خذني معك
، في رحلة بلا عودة
، أرنو إلى أفق الغسق
، حيث تلتلاقى الأرواح
، وتذوب في سر السكون

نجم الحكايات.

فوق جبين الليل البهيم
تسطع نجوم الحكايات،
قصص من دموع وبسمات،
حكتها الريح للعايرين
ورسمت على وجوه الغياب
لوحات من الصمت والحنين.

وتمضي الساعات كأنها
أجنحة طائرٍ مكسور،
يحلم بالسماء الرحبة،
لكن أرضه ثقيلة،
تثقل خطواته،

وتثنى جناحه الحزين.

فيما ليل، احملني معك
على أجنحة الحلم المُذبل
أبعثر همسي بين النجمات
وأختبئ في حضن السكون
عليّ أجد في العتمة جواباً
لأسئلة الرحيل التي لا تنتهي.

32

دقيقةٌ واحدة

في دقيقةٍ واحدة
تسقط مدنٌ عن خارطةِ الضوء

، تهجر شعوبٌ بأكملها
، تبادُ عائلاتٌ
، وتطأ شموعُ البيوت.

في دقيقةٍ واحدةٍ
، تفلس شركاتٌ
، وتنهار مؤسساتٌ كأنها لم تكن
، تسقط الأقنعةُ الثقيلةُ
، ويظهرُ الزيف عاريًا أمام المرايا
، تزهقُ أرواحٌ بريئةٌ
، ويتعالى الصمتُ فوقِ الخراب.

دقيقةٌ واحدةٌ
، الحدُّ بين الموتِ والحياة

، بين ماضٍ لا يعود
، حاضرٍ يتضمن
، ومستقبلٍ يقف على حافةِ الاحتمال.

دقيقةٌ واحدةٌ،
تفصلُ الحربَ عن السلامِ،
والخرابَ عن الازدهارِ،
والفقرَ عن الغنىِ،
والهزيمةَ عن نبوءةِ الانتصارِ.

دقيقةٌ واحدةٌ،
على جبينِ الزمانِ،
تغيّرٌ ملامحَ الطرقِ،
ووجهَ العابرينِ.

وتقلبُ الموازينَ كما الريح.

دقيقةٌ واحدة...

كفيلةٌ بأنْ تُعيدَ كتابةَ كلّ شيء.

33

أقنعةُ الكيرباء.

دقيقةٌ تكفي...

لتُسقطَ مدينة،

وتُغرقَ شعباً بأكمله

في التيهِ والضياعِ

دقيقةٌ

تبني جدارَ النار

بَيْنَ الْحُبَّ وَالْوَدَاعِ

تُبَيِّدُ عَائِلَةً

تُفْلِسُ دُولَةً

تَدْفَنُ أَحَلَامَ الْبَسْطَاءِ تَحْتَ الرَّكَامِ

فِي لَحْظَةٍ

تَسَاقُطُ أَقْنَعَةِ الْكَبْرِيَاءِ

وَتَنْفَضُّ الْوِجْهُ الَّتِي

تَنْزِينُ بِالْبَهْتَانِ وَالْوَهْمِ وَالْكَلَامِ

تُزْهَقُ الْأَرْوَاحُ بِلَا سَبْبٍ

وَيُصِيرُ الْقَلْبُ... مَجْرَدَ رَقْمٍ

فِي دَفْتِرِ الْمَوْتَى

دُقِيقَةٌ وَاحِدَةٌ

ما بَيْنَ مَوْتٍ وَوَلَادَةً

ما بَيْنَ مَاضٍ رَاحِلٍ

وَحَاضِرٍ

يَنْمُو كَجَرْحٍ فِي الْإِرَادَةِ

ما بَيْنَ أَمْلٍ وَانْكَسَارٍ

بَيْنَ خَرَابٍ... وَازْدَهَارٍ

بَيْنَ فَقْرٍ خَانِقٍ

وَغِنَىً

كَالْحَلْمِ فِي مِعْصِمِ النَّازِ

دِقِيقَةٌ...

تَنْقِشُ أَسْمَاءَنَا فِي ذَاكِرَةِ النَّسِيَانِ

تُغَيِّرُ خَارِطَةَ الْأَشْيَاءِ

وَتَقْلِبُ مَوازِينَ الزَّمَانِ

نهايات البرد .

شمس مريضة

تسطع في الخارج ...

ضوء شاحبٌ

كأنه يتردّد في الظهور

الضبعة تتسلل نحو السهل ،

تبث عن طعام

لأطفال جائعين

لا يعرفون طعم الفريسة

الجناذب تتمايلُ
بفعلِ ريحٍ خفيفةٍ
كأنّها ترقصُ
لأجلِ
أن تظلَّ حيّة.

مشهدٌ يلمعُ في المدى
الطبيعةُ بكمالِ رموزها
كأنّاتُها،
أطيافُها
تشابكُ كأنّها لوحةٌ
رسمت في غفلةٍ حلمٍ

صيحةٌ ربيعيةٌ دافئةٌ...

لَكُنَّ الشَّمْسَ
مَا زَالَتْ مَرِيْضَةً.

35

الْكَهْوَفُ السُّجِيقَةُ

تَلَكَ الْكَهْوَفُ السُّجِيقَةُ
تَبُوحُ بِثَقْلِ الْمَجَازِرِ
وَأَنِينِ الْمَذَابِحِ
لَعَصَابَاتِ، وَجَمَاعَاتِ
وَقُطْعَاعِ طَرَقِ
عَبَرُوا ظَلَالَهَا يَوْمًا
وَسَفَحُوا فَوْقَ تُرَابِهَا الطَّاهِرِ
دَمَاءً زَكِيَّةً

ما زالت محفورة
في ذاكرة الصخور
ووشوسة الأشجار
وأنيين الهضاب

36

الكهوف السحرية (نص معد للتلحين)

تلك الكهوف السحرية
تبوح بأنفاس مجردة
وأنة ليل، وحرقة صرخة

مضت فوق درب المذابح
جماعات موت

وعصبةٌ خوفٍ

وقطاعٌ دربٌ

كأنَّ الظلامَ يُغْنِي بهم

سفحوا على التُّرْبِ دمًا

ودمًا طهورًا

كأنَّ الملائكةَ مرّت هنا

وبكتْ...

بقيتْ الندوبُ على الحيطانْ

في صدرِ صخرةٍ

في جفنِ شجرةٍ

وفي صوتِ هضبةٍ

تئنْ...

كأنَّ المكانَ يُصلّي!

خاتمة: ومن بعدي الطوفان

كل ما ماضٍ، كتبته بمداد الذاكرة، لا
التبرير.

لم أبحث عن خلاصٍ شخصيًّا، ولا عن
بطولة في زمنٍ معطوب.

سردتُ ما رأيت، وما أدمى القلب، وما
حرّض الصمت على النحيب.

ربما كنتُ شاهدًا أخرس في البدء،
لكنَّ الكلمات حين انفجرت

غمرتني كالسيل...

كأنها تقول:

"اكتب... قبل أن تبتلعك العاصفة"

وها أنا أضع القلم

وقد نطقت بما استطعت

فإن جرف الطوفانُ ما تبقى

فعلى الأقل

كان هنا من أشار إليه

ولو بصوتٍ مبللٍ بالخوف

ومن بعدي الطوفان؟

فليكن...

لكن ليعلم الطوفان

أن أحدها، قبله، تكلّم

